الاستعمار البريطاني في الملايو

للأستاذ محمد جنيدى

أعاصير هائجة، ورياح عاصفة، تهب في الملايو لتقويض صرح الاستعمار البريطاني ! ...

أفكار ثائرة، ونفوس غاضبة ... أبت الاستكانة لسيادة قوم فرضوا نفوذهم على شعوب ضعيفة بوسائل الخداع والنفاق، والقوة والطغيان، فسلبوا حقوقها، ومحوا استقلالها، فعادت القهقرى إلى حقب بعيدة ... وقد دار الزمان دورته، وعادت الحياة إلى أجسام الشعوب المستعبدة، ودب النشاط فيها، فشرعت تكافح في سبيل استعادة حريتها المسلوبة، لتعيش على سطح هذا الكون حرة مستقلة، تشارك الشعوب الحرة في حفظ تراث الإنسانية، ودعم أسس السلام العالمي

وعندما وقفت أجهزة الحرب العالمية الثانية في الشرق الأقصى لتستريح من النصب الطويل الذي لاقته في سبيل استعباد الأمم الضعيفة، واستغلال خيرات أراضيها، ظهرت على مسرح السياسة الدولية أجهزة التحرير للشعوب الآسيوية تعمل في ضوء النهار، وفي حلك الليل، للقضاء على الاستعمار الغربي، لتقيم الدليل على حق الشعوب المستعبدة في تقرير مصيرها، كما نص عليه ميثاق الإطلانطيق ... الذي كان رمزاً لغاية الدول الكبرى لأعمالها بعد أن تضع الحرب العالمية الأخيرة أوزارها، كما كان شعلة وهاجة تشير بها للشعوب الضعيفة بالسير في هوا كبها لتنعم بالحياة الحرة الخالية من شوائب الفقر والخوف

لقد بدأت الشعوب الآسيوية المستعبدة تنهج السبل الموصلة إلى تحقيق آمالها الوطنية، وتتخذ الوسائل الفعالة إلى التخلص من براثن الاستعمار الغربي، متهزة الظروف القاسية التي أقعدت الدول الكبرى المهيضة الجناح عن المضي في مناهضة الحياة الحديثة الثائرة التي برزت في الشرق تطالب بنصيبها من الحرية

ففي الشرق الأقصى في إندونيسيا، أعلن الإندونيسيون استقلالهم وقيام حكومة جمهورية مستقلة في السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ (بعد مرور يومين على وقوف آلات الحرب والدمار في الشرق الأقصى) وأعدوا عدتهم للملاقاة كل الاحتمالات المتوقعة التي سوف تظهر من جانب الدول الكبرى الاستعمارية، محاولة منها القضاء على استقلال إندونيسيا، وإعادة سيادتها مرة ثانية عليها ... فاتحدت القوات الاستعمارية — الإنكليزية والهولندية واليابانية — للقضاء على استقلال إندونيسيا، وهدرت أفواه مدافعها نصب نيرانها الحامية على الإندونيسيين الأحرار، وضحى الشعب الإندونيسي في سبيل حفظ حريته وتدعيم أساس جمهوريته كثيراً من النفوس الطاهرة التي قدمت نفسها رخيصة على مذابح الحرية ...

هذا في إندونيسيا، البلد المجاور للملايو، وهناك على الجانب الآخر من الملايو بلد ثائر غاضب ... هو (فيتنام) فقد أعلن الفيتناميون الأحرار استقلالهم وظهور جمهورية شعبية مستقلة تتولى إدارة شؤون البلاد، وذلك في شهر أغسطس عام ١٩٤٥

ولم ينج الفيتناميون الأحرار من غضب المستعمرين الغربيين الذين لعبوا دورهم السياسي والعسكري في فيتنام ... فجهزوا عليهم جيوشاً جرارة للقضاء على حكومة فيتنام الحرة، كما سامحوا أذنابهم من الفيتناميين أتباع الإمبراطور باوداى، وقد خلق المستعمرون في الهند الصينية قوة دولية للقضاء على حكومة فيتنام

اللذائذ العليا، ويتصل بالله

ذلك كان رمضان

فيامن لهم رمضان ! لا تظنوا رمضان شهر جوع وعطش ! إن رمضان شهر صفاء وحب وتأمل، وترفع عن المادة وأوضارها، وعن شهوات النفس وأوزارها، وإعراض عن مشاهد الطريق، للتفكر في غاية الطريق

ويا من ليس لهم رمضان ! اجعلوا لنفوسكم رمضان مثلنا، تعودون فيه إلى نفوسكم التي نسيتموها، وإلى إنسانيتكم، وإلى ربكم

ويا أيها القراء من إخواننا العرب في العالم الجديد، ترجموا هذا الكلام، لإخوانكم (الأميركان) ليعرفوا ما هو رمضان

علي الطنطاوي

الحرة ، وبذل الفيتناميون دماءهم وأرواحهم فى سبيل حفظ حكومتهم الحرة ، ولا يزالون يكافحون الجيوش الاستعمارية ويكبدونها الخسائر الفادحة حتى تعترف السلطات الاستعمارية بحريتهم واستقلالهم ، وفى خضم هذه المعارك التحريرية الآسيوية فى الشرق الأقصى تحرك الشعب الملايوى ، والتف حول زعمائه الأحرار ، فنظموا صفوفهم ووحدوا جهودهم ، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وأقاموا المنظمات الثقافية ، لتتولى شؤون الحركات التحريرية التى تتطلب التضحية فى المال والرجال ، ليقيموا حياة جديدة حرة فى وطنهم الذى يلاقى الأمرين من الاستعمار الإنكليزى

لقد نهض الشعب الملايوى بعد ما رأى المعارك الاستقلالية الدامية تدور حوله بين الآسيويين الأحرار والغربيين المستعمرين ، فطالب السلطات البريطانية بحرية بلاده ، مستندا فى ذلك إلى حقه الطبيعي والشرعى فى الحرية والاستقلال ، وعلى ما جاء فى ميثاق الأطلسى الذى ضمن للشعوب الضعيفة حق تقرير مصيرها

وهنا تقف إنكلترا حائرة فى هذا الجو المضطرب ، أو فى هذا الخضم الثائر فى الشرق الأقصى ، فالحركات الاستقلالية تلفح نارها الهند الصينية التى يقاتل فيها الفرنسيون قتالا مريرا لإيقاف الزحف الشيوعى عن مناطق نفوذهم فيها ، وتؤيد — إنكلترا فرنسا فى حركتها العسكرية الضخمة فى الهند الصينية ضد التيار الشيوعى عن المستعمرات الغربية فى الشرق الأقصى فتشبثت إنكلترا بحقها الدولى فى بقاء سيادتها على الملايو ، وكان رد فعل لهذا أن غدت ملايا بركانا ثائرا ، يشيع فيها الاضطرابات والثورات

إن الاستعمار الغربى فى الملايو هو المسئول الأول عن الاضطرابات الحاضرة فى جميع أنحاء ملايا ، أو بعبارة — أوضح إن الاستعمار الغربى هو الذى أثار هذه الاضطرابات ، وأشعل هذه الثورات ، فالثورة الحاضرة فى الملايو هى ضد الاستعمار البريطانى الذى رفض التسليم بحق الملايويين الشرعى فى حرية بلادهم ، وهى ثورة شعب على وضع يناهض تقدمه ويعرقل سيره . فلو أن السلطات الاستعمارية البريطانية قدرت مدى تغلغل الروح القومية فى نفوس الشعب الملايوى كما قدرت مدى انتشار الروح الوطنية فى الهند ، لأفسحت المجال للشعب الملايوى ليسير فى طريق الحرية والاستقلال ، وليلحق الشعوب الآسيوية التى سبقته فى هذا المضمار فغدت حرة مستقلة ، ولكنها أغمضت عينيها عن هذه الروح الثائرة وعن هذه الحركات الهائجة ، فأرسلت جيوشها الجرارة إلى الملايو لتخمد أنفاس الملايويين ، وقد بلغ عدد الجنود التى — قذفتها بريطانيا إلى ملايا بعد الاضطرابات الحاضرة مائة وخمسة وعشرين ألف جندى ، تؤيدها مائة ألف جندى كانت موجودة فى ملايا قبل الحوادث الأخيرة

يزعم الاستعمار الإنكليزى فى الملايو بأن بقاءه فيها هو لحفظ النظام الديمقراطى والحقوق الإنسانية من داء الشيوعية التى تقضى على الحقوق الديمقراطيه ، وتقلب أوضاعها رأسا على عقب ، وهذا الزعم ينهار تحت الحقائق الناصعة التى تثبت أن الشعب الملايوى شعب شرقى مسلم قد سماه دينه من العقائد الضارة والنظم الفاسدة التى تهدم كيان المجتمع

وهناك ادعاء آخر ، وهو آخر ما فى جعبة إنكلترا من الادعاءات التى تبرر بها بقاءها فى الملايو ، وحقها فى استعمال الأسلحة ضد الثوار ، وهو أن الثوار فى ملايا ليسوا هم الوطنيين بل هم الصينيون الشيوعيون الذين يستمدون العون من الصين الشيوعية ، وغايتهم القضاء على الاستعمار الإنكليزى فى الشرق الأقصى . فهل هذا الادعاء قائم على دليل مستخرج من الحياة الملايوية الحديثة تستند عليه إنكلترا فى حق قيامها بواجبها العسكرى للقضاء على الحركات الشيوعية فى الملايو ؟ لا ... إنه ادعاء لا يرتكز على دليل ملموس . وهو إدعاء باطل ، أريد به تضليل العالم بأن الملايويين قانعون بحياتهم الحاضرة تحت ظل الحكم البريطانى ... وهذا إفك وافتراء ... فإن الشعب الملايوى قد أبى الخضوع للحكم البريطانى ، ولا يريد إلا التحرر من نفوذه الذى عانه من الحركة والتقدم مدى قرون طويلة

وإذا درسنا الحياة الحديثة فى ملايا دراسة صحيحة من الناحية السياسية والثقافية — وهما الناحيتان البارزتان — لمعرفة مستوى نضوج الشعب ، نجد أن الشعب الملايوى كغيره من

الشعوب الأسيوية التي كانت مستعبدة قد عرقل سيره الطبيعي الاستعمار البريطاني ، فالحكم البريطاني قد أغلق أبواب العلم والمعرفة أمام الشعب الملايوي ، وحصره في محيطه الضيق ، وفي أفقه المادي ، لا يرتشف من مناهل العلم ، ولا يتصل بالعالم الخارجي ، برغم أن هذا الشعب محب للعلم ، تواق إلى المعرفة ، فهو شعب مسلم ، يحثه دينه على التسلح بسلاح العلم ، والتزود بالفنون الحديثة ، كما أن الاستعمار البريطاني قد حظر على الشعب الملايوي إنشاء الأحزاب السياسية ، وإقامة المنظمات الثقافية ، فمنذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها لم تظهر في ملايا أحزاب سياسية أو منظمات ثقافية تدعو الشعب إلى التحرر من الاستعمار البريطاني ؛ فالسلطات البريطانية أبعدت الشعب الملايوي عن ميادين الجهاد المقدس بعد الحرب العالمية الأولى كيلا تتقاص سيادتها عن ملايا ، بينما كانت الأحزاب السياسية والمنظمات القومية قد برزت في إندونيسيا من ١٩٠٨ وهي البلد المجاور لملايا .

ومن المشكلات الصعبة التي تعانيها ملايا في حركاتها التحررية اليوم ، مشكلة الجاليات الأجنبية . فالزعماء — الملايويون يريدون التوفيق بين وجهات نظرهم ووجهات نظر الجاليات الأجنبية التي تكون عدداً مساوياً لعدد الوطنيين ... ويبلغ عدد سكان ملايا خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ، ومن الطبيعي أن وجود هذا العدد الهائل من الأجانب في ملايا له تأثيره البارز في الحركات التحررية الملايوية — نجاحا وفشلا ، تقدما وتدهوراً

والتوفيق بين وجهات نظر الملايويين والأجانب هو كما يريده الملايويون الأحرار ، اندماج الأجانب وهم يمثلون الصينيين في القومية الملايوية ، بحيث يشعرون بما يشعر به الملايويون من الآلام والإحساسات إزاء مشكلتهم القومية الكبرى . وقد تشبث الصينيون بوجهة نظرهم وهي بقاؤهم متمسكين بقوميتهم الصينية ، ووجوب انتقال سيادة ملايا إليهم ، وظهر من هذا تباين تام في الآراء والأفكار ، واختلاف في الشعور والإحساس بين الملايويين والصينيين ، وهذه العوامل المعنوية لها تأثيرها الخطير في الحركات القومية الملايوية ، ولاشك أن هذا التباين من أحد العوامل التي تعرقل سير الحركات التحررية الملايوية اليوم . ويجد الشعب الملايوي نفسه أمام عاملين خطيرين يناهضان حركاته ومقاوماته ضد الحكم الأجنبي . فالعامل الأول هو الاستعمار البريطاني ، والعامل الثاني هو العدد الهائل من الصينيين الذين يشعرون بشعور وطني ، ويحسون بإحساس بلادهم ، ويستغرب القارئ الكريم من وجود هذا العدد الكبير من الصينيين في بلد صغير كملايا ، ونحن نوضح له أسباب ذلك

إن الاستعمار الإنكليزي هو الذي فتح أبواب الهجرة أمام الصينيين في ملايا ، منذ بدأ يبسط حكمه عليها ، كي يجد الملايويون عنصراً أجنبياً يزاحمه ويقعده عن العمل ، سواء كان في حقل الاقتصاد أو في ميدان السياسة . وقد نجحت السياسة الاستعمارية الإنكليزية في عملها نجاحا تاما ، فاليوم يجد الملايويون الأحرار عقبة كأداء في سبيل حل قضيتهم الوطنية مع السلطات البريطانية ، فالصينيون ويبلغ عددهم مليونين ونصف مليون يطالبون الحكومة البريطانية بالسيادة على ملايا ، تاركين الشعب الملايوي صاحب البلاد وراءهم . وقد أنتج موقف بريطانيا الصلب العنيد تجاه مطالب الملايويين في الحرية والاستقلال أن قام الصينيون بأعمال التخريب والتدمير في الملايو مشوهين بذلك روعة الحركات التحررية الملايوية التي شملت جميع أنحاء ملايا . ويدل سير الحركات التحررية اليوم في الملايو . على أن الشعب الملايوي سائر في طريقه المرسوم — لتحقيق حريته واستقلاله برغم العوامل المناهضة له ؛ وتشرق على ربوع وطنه شمس الحرية ، فيغدو شعبا حرا يشارك شعوب العالم في إقامة صرح حياة جديدة قائمة على أساس العدل والرخاء

وإتماما لهذا العرض الموجز عن الاستعمار الإنكليزي في الملايو أقدم للقارئ الكريم موجزاً عن الوضع الإداري الحاضر في ملايا ، وعن مركزها الاستراتيجي ، وعن النشاط الثقافي الذي سيكون له الأثر الكبير في نجاح الحركات التحررية التي يستعر لهبها في ملايا

تنقسم ملايا إلى بضع ولايات يتولى الحكم على كل منها حاكم يلقب بسلطان ، تنتقل سلطته إلى ذريته من بعده . ولكل سلطنة مظاهر الدولة والحكومة ، جيش وعلم وطوابع بريد وإدارات